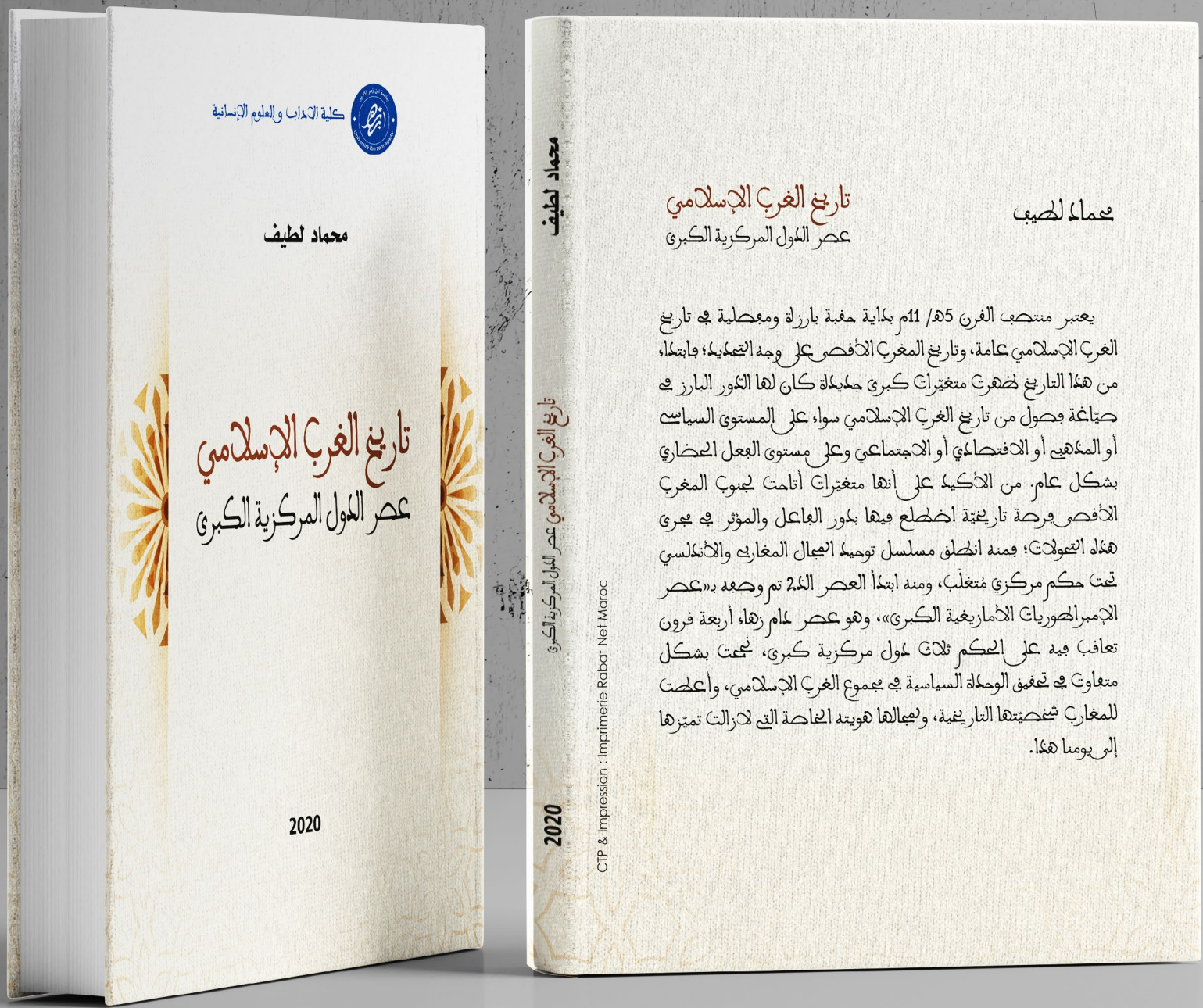
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
محماد لطيف
تاريخ الغرب الإسلامي
عصر الدول المركزية الكبرى
2020
محماد لطيف
تاريخ الغرب الإسلامي
عصر الدول المركزية الكبرى
2020
CTP & Impression : Imprimerie Rabat Net Maroc
محماد لطيف
تاريخ الغرب الإسلامي
عصر الدول المركزية الكبرى
يعتبر منتصف القرن 5هـ/ 11م بداية حقبة بارزة ومفصلية في تاريخ الغرب الإسلامي عامة، وتاريخ المغرب الأقصى على وجه التحديد؛ وابتداء من هذا التاريخ تظهر متغيرات كبرى جديدة كان لها الدور البارز في صياغة فصول من تاريخ الغرب الإسلامي سواء على المستوى السياسي أو المذهبي أو الاقتصادي أو الاجتماعي وعلى مستوى الفعل الحضاري بشكل عام. من الأكيد على أنها متغيرات أتاحت لجنوب المغرب الأقصى فرصة تاريخية اضطلع فيها بدور الفاعل والمؤثر في مجرى هذه التحولات؛ فمنه انطلق مسلسل توحيد المجال المغاربي والأندلسي تحت حكم مركزي مُتغلّب، ومنه ابتدأ العصر الذي تم وصفه بـ«عصر الإمبراطوريات الأمازيغية الكبرى»، وهو عصر دام زهاء أربعة قرون تعاقب فيه على الحكم ثلاث دول مركزية كبرى، نهضت بشكل متعاقب في تحقيق الوحدة السياسية في مجموع الغرب الإسلامي، وأعطت للمغرب شخصيته التاريخية، ولمجالها هويته الخاصة التي لازالت تميزها إلى يومنا هذا.

تاريخ الغرب الإسلامي

عصر الدول المركزية الكبرى

محماد لطيف

تاريخ الغرب الإسلامي

عصر الدول المركزية الكبرى

2020

الكتاب : **تاريخ الغرب الإسلامي عصر الدول المركزية الكبرى**

المؤلف : **محماد لطيف**

الطبعة : **الأولى 2020**

النشر: **كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر**

الطبع : **مطابع الرباط نت**

الإيداع القانوني : 2020MO5409

ردمـــــك : 978-9920-615-15-0

©جميع الحقوق محفوظة

2020

مطابع الرباط نت

Imprimerie RABAT NET

Av. Hassan II Cité Al Manar n° 6/3 - Rabat
05 37 20 46 32 - 06 61 20 37 76
imprimerierabatnet@gmail.com
www.imprimerierabat.com

المقدمة

يعتبر منتصف القرن 5هـ/ 11م بداية حقبة بارزة ومفصلية في تاريخ الغرب الإسلامي عامة، وتاريخ المغرب الأقصى على وجه التحديد؛ فابتداء من هذا التاريخ ظهرت متغيّرات كبرى جديدة كان لها الدّور البارز في صيّاغة فصول من تاريخ الغرب الإسلامي سواء على المستوى السياسي أو المذهبي أو الاقتصادي أو الاجتماعي وعلى مستوى الفعل الحضاري بشكل عام. من الأكيد على أنها متغيّرات أتاحت لجنوب المغرب الأقصى فرصة تاريخيّة اضطلع فيها بدور الفاعل والمؤثر في مجرى هذه التحولات؛ فمنه انطلق مسلسل توحيد المجال المغربي والمغاربي والأندلسي بمختلف مكوناته تحت حكم مركزي مُتغلّب ببروز "الدولة العامة الاستيلاء، العظيمة الملك"[1]، ومنه ابتدأ العصر الذي تم وصفه بـ"عصر الإمبراطوريات الأمازيغية الكبرى"، وهو عصر دام زهاء أربعة قرون تعاقب فيه على الحكم ثلاث دول مركزية كبرى، نجحت بشكل متفاوت في تحقيق الوحدة السياسية في مجموع الغرب الإسلامي، وأعطت للمغارب شخصيّتها التاريخية، ولمجالها هويته الخاصة التي لازالت تميّزها إلى يومنا هذا.

لا تكمن أهمية دراسة تاريخ الغرب الإسلامي عصر الدول المركزية الكبرى، في الرقعة الترابية الممتدة لهذه الدول وفي تحويل الأندلس لأول مرة إلى ولاية تابعة للمغرب، وإنما كذلك في ما عرفه الغرب الإسلامي في ذلك العصر من

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1993م، ص. 124.

إنشاءات عمرانية (مراكش، الرباط، فاس، اشبيلية، تلمسان، تونس ...)، وفي ما قدّمه للإنسانية من علماء طبقت شهرتهم الآفاق وحظيت مؤلفاتهم إلى اليوم بالاهتمام، ومن هؤلاء نذكر ابن رشد، وابن طفيل، وابن زهر، وموسى بن ميمون القرطبي، وابن خلدون، وابن الخطيب ... وأكثر من هذا وذاك، إنه العصر الذي خفّت فيه تأثيرات المشرق وحصل فيه التلاقح واشتدّ التأثير والتأثر بين بلاد المغرب والأندلس وبلاد السودان.

وإلى جانب اقتران هذا العصر باتساع نطاق التعريب والأسلمة خاصة في عهدي الدولتين المرابطية والموحدية، اللتين تأسستا كما يدل اسمهما بدرجة كبيرة على الأساس الديني أو المذهبي، فقد عرف كذلك هجرات بشرية وتنقلات قبلية جارفة؛ ففضلا عن هجرة القبائل العربية من مصر إلى افريقية والمغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى، شهدت بداية هذا العصر هجرة قبائل صنهاجة الصحراء من الجنوب إلى الشمال. وهي أكيد هجرات أثرت في تاريخ المغرب حضاريا.

لقد أثارت هذه المستجدات المُحفّزة التي جعلت هذه الحقبة التاريخية من أثرى الحقب في تاريخ المغارب عامة وتاريخ الجنوب المغربي على وجه التخصيص، عددا من الأبحاث الحديثة، فسلّطت أضواء جديدة ومبهرة حاولت استجلاء رصيدها التاريخي والحضاري المتميّز. ليس من شأن هذه الدراسة في حدودها الحالية، الغوص لإضاءة بعض الجوانب الحضارية المعتمة في تاريخ الغرب الإسلامي عصر الدول المركزية والتي بقيت أسئلة عالقة في الدراسات التاريخية المعاصرة، كما لن تحدو حذو تلك الأبحاث التي قدّمت هذا التاريخ في قراءات انتقائية واختزالية، فحولته إلى مقاطع مجزأة ولحظات متباعدة، يتم استعادتها بمعان ودلالات تنهض بتكريس "حقائق" معينة ترضي في المقام الأول المشاغل الراهنة لفئات معينة، وإنما تروم وضع

الطالب الجامعي، باعتباره المستهدف الأول في هذا المؤلّف، في سياق التطور التاريخي الذي شهده المغرب خلال هذه المرحلة المفصلية بشكل مركّز ومبسّط ودون تعقيد ولا إغراق في التفصيلات والجزئيات، مع التركيز على دور "الجنوب المغربي" في صياغة فصول هذا التاريخ. ليس فقط لأنه الصانع لأهم مستجدات تلك الحقبة، وإنما كذلك لكونه المجال الذي تغطيه الجامعة التي ننتمي إليها، والتي اختير لها اسم علم ينتسب إلى أسرة أندلسية مغربية عاش معظم أعلامها في ظل المرابطين والموحدين.

إننا ولئن حرصنا على أن نؤطر عناوين محاور هذا الكتاب ولدواعي بيداغوجية، داخل ثلاثية النشأة والعظمة والانهيار، والتي قد يوحي نمط ترتيبها للقارئ بانحباسنا داخل تصميم يتبنّى تسلسل الأحداث السياسية والعسكرية التي يبقى في تقديرنا أمر استيعابها ضروريا في المراحل الأولى، فإننا وضمن تتبعنا للدقائق وإبرازنا للجزئيات من الوقائع في مسار كل دولة من الدول التي تعاقبت على الحكم خلال هذه الفترة ورصدنا للأحداث المفصلية في تاريخها، فإننا كذلك لم نغفل استحضار الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ودور العوامل الدينية والفكرية في مسألة المشروعية، مستفيدين في ذلك من النتائج التي انتهت إليها بعض الكتابات التاريخية التركيبية على غرار كتابات محمد القبلي وعبد الله العروي، والعطاء المعرفي والمنهجي الذي تضمنته الكثير من الدراسات الجادّة التفصيلية والمدقّقة.

وعموما، فقد تمت كتابة الجزء الأكبر من محاور الكتاب اعتمادا على بيبلوغرافيا تشتمل إلى جانب كل ما أتيح من المصادر الوسيطية الرئيسية المعروفة، مجموعة من الدراسات التي أنجزها باحثون مغاربة وغير مغاربة خلال العقود الأربعة الأخيرة، من هنا تمّت الاستعاضة عن الإحالات المرجعية في جل الأحيان، خصوصا وأننا أمام العديد من القضايا التي

حظيت بالتّدقيق والمقاربة في أكثر من دراسة. وإذا كانت هنالك إحالات قد أُدرجت ضمن هوامش الكتاب، فإنّما ذلك لأسباب ديداكتيكية بالدرجة الأولى. وحتى يتمكّن القارئ المهتم بالدّقائق من التّعرف على الرّوافد المرجعية التي استندنا إليها في صياغة كل محور من محاور الكتاب، فقد ارتأينا أن نثبت في آخره قائمة مختصرة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة.

ويمثّل بحثنا في تاريخ الغرب الإسلامي كذلك، إفادة من ما تم استخلاصه من آخر عمليات السّبر الأركيولوجية المستمرّة إلى اليوم، خاصّة في أغمات وإيكليز والتي أسفرت نتائجها عن مفاجآت غير منتظرة مكّنت من إعادة بناء وتركيب بعض الحلقات المحورية الغامضة من تاريخ الدولتين المرابطية والموحدية. وفي ذات الاتجاه، وفضلا عن استثمارنا لتقارير الزّيارات العلمية والمعاينات الميدانية التي قمنا بها إلى مجموعة من المواقع التاريخية الوسيطية، فقد حرصنا كذلك ولغايات بيداغوجية تُوصي بأهمية تنويع الدعامات في تكوين طلبة مسلك التاريخ والحضارة، تعزيز الكتاب بمجموعة من الخرائط التّوضيحية تُسهّل مهمة التّمثل والتّموضع وتحثّ على المزيد من التّساؤل والاستقصاء[1]. وبالمثل، تعمّدنا أن نبثّ طوال المتن مجموعة من النّصوص التّاريخية التي تُشير مضامينها إلى منطلقات وتفاصيل تزيد الوضوح والفهم للمحاور المطروقة، وتُتيح في ذات الآن التّعرف على قضايا أخرى من شأنها أن توطّن لامتدادات من الصّعب أن يستوعبها الحيّز المحدود من صفحات الكتاب.

[1] - بالإضافة إلى الخرائط التي أخذناها كاملة من بعض المراجع المعتمدة، فقد قمنا بالتّصرف في أخرى كثيرة حتى تتواءم مضامينها ومحاور الكتاب. وحريّ بنا أن نشكر الأستاذ علي دادون أستاذ بشعبة الجغرافيا كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر، على تعاونه السّخي في إنجاز مجموعة من الخرائط وتدقيقها.

لقد سعينا في الفصول الثلاثة التي قُسّم إليها الكتاب، في حدود معينة، إلى استقصاء مجرى التّطورات السياسية التي عرفها الغرب الإسلامي من منتصف القرن 5 هـ/ 11م إلى غاية النصف الثاني من القرن 9 هـ/ 15م، وطرح مقاربات تركيبية لقضايا تاريخية مختلفة تتعلّق بجوانب من التّاريخ السياسي والحضاري لدول المرابطين والموحدين والمرينيين، مع إثارة مجموعة من القضايا الجوهرية المتّصلة بفهم حيثيات انتقال الغرب الإسلامي من واقع التّشتت والتّمزق إلى عصر المركزة السّياسية والوحدة المذهبية، وإبراز التّحولات اللافتة المتعلّقة بمسألة الدولة والسلطة والمجال والحكم والشرعية، فضلا عن الإشارة إلى أهم التحركات البشرية والديناميات القبلية التي عرفها الغرب الإسلامي في تلك الفترات. كما ارتأينا في هذه المحاولة تلمّس جوانب من الواقع المتوسطي ومسألة العلاقة مع الغرب المسيحي من الناحية السياسية، وغيرها من القضايا التي تستحق التّأمل والتمعّن لما لها من جدوى في فهم حاضر المغرب.

فهرس المحتويات

مقدمة 5

مدخل 11

الفصل الأول

الدولة المرابطية

من الدعوة والتغلّب إلى طور الانهيار

أولا : إزناكن أو صنهاجة : المقوّم البشري..21

ثانيا : عبد الله بن ياسين وبداية دعوة المرابطين....................................27

ثالثا : الدولة المرابطية في المغرب والأندلس.. 33

رابعا : الدولة المرابطية: طور التراجع والانهيار.................................... 49

الفصل الثاني

الدولة الموحدية

حوليات التطور التاريخي من النشأة إلى الانكسار

أولا : إمصمودن أو المصامدة.. 61

ثانيا : محمد بن تومرت وبداية دعوة الموحدين................................... 64

ثالثا : الدولة المؤمنية: عصر الخلافة الموحدية..................................... 78

رابعا : الدولة الموحدية خلفاء طور الأوج والتألق................................. 93

خامسا : ارتدادات العقاب والانحلال التدريجي للدولة الموحدية............ 106

الفصل الثالث

المرينيون

من حياة الانتجاع إلى تأسيس الدولة

أولا : زناتة المقوّم البشري... 116

ثانيا : بنو مرين من كيان قبلي إلى حركة سياسية............................. 118

ثالثا : توحيد المغرب الأقصى وإعلان الإمارة 123

رابعا : طور استقرار الدولة (673-759هـ/1274-1357هـ)............... 128

خامسا : الدولة المرينية والبحث عن المشروعية 133

سادسا : المرينيون ومحاولات توحيد المغارب 140

سابعا : بدايات الاختلال ومراحل التفكك المريني............................ 143

لائحة المصادر والمراجع 152

فهرس المحتويات 158